2026 شبـــاط مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 12A
February 2026 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 12A
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

أثر التجربة السياسية في النتاج الأدبي لسان الدين ابن الخطيب أنموذجاً

م. م. عمار حاتم صاحب العبيدي
جامعة الكوفة كلية – العلوم السياسية
amarh.al-obaidi@uokufa.edu.iq

الملخص

لقد تأثر النتاج الأدبي للشاعر الأندلسي "لسان الدين بن الخطيب" بشكل واضح بالتجارب السياسية المضطربة التي صاحبة مسيرته الحياتية، إذ أدت محنته وفقدان الأمان إلى ظهور انكسارات في شعره خاصة في قصائد المديح، فقد حاول إظهار القوة وعدم الانحناء لصروف الدهر، لكن ضعفه انعكس في بعض مواقفه وقصائده، مما أظهر تفاوتاً في التعبير عن تلك المشاعر ورصد تغيرات في شعره ومفرداته نتيجة للأزمات التي مر بها، والتي أسهمت في تغير في المفردات والأساليب الشعرية لديه، حيث عكست بعض قصائده انطواء الذات وهروبها من الأزمات السياسية التي تكالبت عليه بسبب السجن والنفي نتيجة الانقلابات السياسية، فضلاً عن دسائس الحاقدين والحساد التي أدت إلى تضييق الخناق عليه، مما دفعه للهرب من الأندلس ولجوئه إلى سلاطين المغرب.

الكلمات المفتاحية: التجربة السياسية، النتاج الأدبي، لسان الدين، الأندلس، الشعر.

The Impact of Political Experience on Literary reduction Lisan al-Din Ibn al-Khatib as a Model

A. L. Ammar Hatem Saheb Al-Obaidi
University of Kufa, College of Political Science

Abstract

The literary output of the Andalusian poet Lisan al – Din Ibn al – Khatib was clearly influenced by the turbulent political experiences that accompanied his life. His ordeal and loss of security led to fractures in his poetry, particularly in his poems of praise. He attempted to demonstrate strength and a refusal to bow to the vicissitudes of time, but his weakness was reflected in some of his stances and poems, revealing a disparity in the expression of these feelings and observing changes in his poetry and vocabulary as a result of the crises he experienced. These crises contributed to a shift in his poetic vocabulary and styles. Some of his poems reflected his introversion and escapism from the political crises that beset him due to imprisonment and exile resulting from political coups, as well as the intrigues of spiteful and envious people that led to his being squeezed, prompting him to flee Andalusia and seek refuge with the sultans of Morocco.

Keywords: Political experience, literary output, Lisan al – Din, Andalusia, poetry.

المقدمة

يعد "محمد بن عبد الله بن سعيد السّلماني" الملقب "لسان الدين بن الخطيب" (713ه – 776ه) من أعلام الأدب الفكري في الحقبة الأندلسية المتأخر، فقد استحصل الريادة في مجالات عدة سياسية وأدبية وتاريخية وفلسفية، وطبية، وقد عايش تحولات سياسية جسيمة في مملكة غرناطة خلال حكم "بني نصر"، وتقلد أعلى المناصب الإدارية، ثم واجه محناً شاقة انتهت بنفيه ومحاكمته، بل واغتياله، ولعل التجربة السياسية المفعمة بالشدائد والتقلبات تركت بصماتها الواضحة في كتابات "لسان الدين بن الخطيب" إذ أصبح نتاجه الأدبي مشبعاً بهموم الدولة، وهواجس السلطة، وألم المحنة، وتعبيراً عن رؤية مفكر ومثقف خَبِر مضامين الحكم

وصراعاته، لذلك فقد شكل التفاعل بين الحياة السياسية وأدبية لـ"لسان الدين بن الخطيب" مادة خصبة للتأمل، إذ يتبدى أدبه النثري والشعري مرآة لذاته المنفعلة، وواقعه المتغير، فاختلط فيه الذاتي بالموضوعي، والتجربة الشخصية بالرؤية الحضارية.

أهمية الدراسة

تبرز أهمية الدراسة في الكشف عن أثر التجربة السياسية لـ"لسان الدين بن الخطيب" في تكوين ملامح نتاجه الأدبي، وتحليل مدى انعكاس الصراعات والمواقف السياسية على مضامينه وتراكيبه وأسلوبه الفني، فضلاً عن المساهمة في فهم العلاقة بين السلطة والإبداع في العصر الأندلسي، وتوضيح دور البيئة السياسية في تشكيل الوعي الأدبي للمثقف الأندلسي.

إشكالية الدراسة

تنطلق إشكالية الدراسة من تساؤل أساسي مفاده: "إلى أي مدى أثرت التجربة السياسية للسان الدين بن الخطيب في نتاجه الأدبي؟"، وعلى هذه الأساس تتضح مجموعة من الأسئلة الفرعية، هي:

1- ما مفهوم العلاقة بين السياسة والأدب؟

2- ما ؟

فرضية الدراسة

تنطلق فرضية الدراسة من أن التحولات السياسية في حياة "لسان الدين بن الخطيب" قد انعكست على نتاجه الأدبي حيث تداخل الذاتي السياسي بالموضوعي الأدبي، والذي يتبين من خلال أعماله النثرية والشعرية ضمن سياقها التاريخي والفكري.

منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والتحليلي من خلال استقراء النصوص الأدبية لـ"لسان الدين بن الخطيب" في سياقات تاريخية وسياسية، وتحليل المضامين وفق رؤية تربط بين التجربة الحياتية والتعبير الأدبي للكشف عن مظاهر التأثر السياسي، وتجليات السلطة والمنفى والمحنة في أدبه، سواء في بعده الخطابي أم التأملي.

حدود الدراسة

الحد الزماني حيث تركز البحث على نتاج "لسان الدين بن الخطيب" الأدبي خلال فترته السياسية "وزارته ونفيه". أما الحد المكاني فيركز على بيئة غرناطة والمغرب "حيث لجأ في آخر حياته".

هيكلية الدراسة

تشتمل الدراسة على ملخص، ومقدمة، وخاتمة، فضلاً عن ثلاثة مطالب، في المطلب الأول: "مفهوم العلاقة بين السياسة والأدب (إطار نظري)". والمطلب الثاني: "حياة وشعر يحيى بن الحكم الغزال". والمطلب الثالث: "مظاهر الفكاهة في شعر الغزال". والمطلب الرابع: "الدلالات الوظيفة الترفيهية والساخرة للغزال".

المطلب الأول

مفهوم العلاقة بين السياسة والأدب (إطار نظري)

تعد العلاقة بين السياسة والأدب من المواضيع المركزية في النقد الأدبي المعاصر، إذ ينظر إلى الأدب ليس مجرد إنتاج جمالي مستقل عن الواقع، بل مكوّن من البنية الثقافية التي تتفاعل مع القوى الإجتماعية والسياسية، فالنص الأدبي هو وثيقة تعبر عن سياقها، وعن خبرة الكاتب وموقعه داخل البنى السياسية، بل يحتمل أن يشارك في إنتاج الخطاب السياسي أو النقدي[1].

الفرع الأول: طبيعة العلاقة بين التجربة السياسية والأدبية

[1] Terry Eagleton, Marxism and Literary Criticism, University of California Press, California, 1976, P. 14.

إن النص الأدبي قد يمتلك بعداً سياسياً ضمنياً حتى وإن لم يوجه بشكل مباشرة إلى السياسة الحزبية أو الحكم، من خلال تصوير السلطة، والتوترات الإجتماعية، والصراع بين الفرد والمجتمع، وتتجسد العلاقة بين التجربة السياسية والأدب على عدة مستويات، أهمها:

أولاً: **"البعد الذاتي"** فالخبرة السياسية عندما يكون الكاتب مزاولاً للسلطة أو قريبًا منها، تكون خبرته واقعية "تجربة في الحكم، الإقصاء، النفي"، والتي تشكل رؤيته للعالم، وموقفه من السلطة، ثم تضفي على النص انفعالاً قادر على التعبير عما وراء الظاهر، وفي حالة "لسان الدين بن الخطيب" فكونه سياسياً ووزيراً ونافياً يمنحه موقعاً مميزاً في التصوير الأدبي للنصوص التي تتناول السلطة والنفي والصراع[1].

ثانياً: **"البعد الموضوعي"** فالخطاب العام للنص الأدبي يعمل في إطار خطاب يشمل المعتقدات والقيم السياسية، مثل: الشرعية، والعدالة، ومكانة العلم، لذلك فأن عصر حكم مطلق قد يحمل النص أبعاداً نقدية خفية في المدح أو الرثاء، أو قد يستخدم الرمزية والتورية لتجاوز رقابة السلطة.

ثالثاً: **"الأسلوب والرمزية"** تتضمن الطريقة التي يروى بها النص، الصورة، الرموز، التناص مع نصوص سابقة، فضلاً عن البناء السردي، لذلك فأن اختيار الكلمة، والرمز، والتلميح، والحذف، يتيح للنص أن يخاطب السلطة أو أن يعبر عن نقد دون إعلان مباشر[2].

رابعاً: **"المقاومة والتجاوز"** إذ إن النصوص التي تصاغ في وضع سياسي ضاغط تتحول إلى فضاء للمقاومة الرمزية أو الاستبطان السياسي، إذ يعبر عن المأزق الداخلي، أو الهم التاريخي، بدون أن يكون بياناً سياسياً صرفاً، بل بلاغة موقف، أو تأمل في السلطة والوجود.

ومن المهم إيضاح طريقة الربط بين الأدب والسياسية من الناحية المنهجية، فليس كل نص أدبي هو نص سياسي، وليس كل تعبير سياسي صراحة هو أدب، فضلاً عن أن الخبرة السياسية للكاتب ليست ضماناً لصدق الخطاب أو حياده، وأن الكاتب قد يموه مواقفه، أو يعكس صراعات داخلية، أو يروج لصورته الخاصة[3].

لذلك فأن الأمر يحتاج إلى التأريخ النصي والتوثيق حتى لا نشيد فرضيات على الفراغ، وأن الأدب في بعض الحالات قد يختار الحياد أو الابتعاد الموّه عن السياسة، أو يعالج موضوعات كانت تعد في وقته خارج السياسة، مثل: الحب، الجمال، الطبيعة، لكن حتى هذه قد تحمل دلالات سياسية ضمنية.

الفرع الثاني: لمحة عن الحياة السياسية في عهد بني نصر

لقد نشأة الدولة النصرية بعد انهيار الدولة الموحدية في الأندلس والمغرب، حيث سيطر الفراغ السياسي في السلطة المركزية الأمر الذي أتاح لزعامات محلية الانقسام وتأسيس دويلات، وفي هذه التطورات برز "محمد بن يوسف بن نصر" (595ه – 1198م)، إذ أعلن نفسه سلطاناً على غرناطة مؤسساً ما يعرف بدولة بني نصر أو الدولة النصرية خلال الأعوام (629ه – 1232م)[4]، وكان عليه أن يحافظ على ما تبقى من الكيان الأندلسي الإسلامي في مواجهة الضغوط المسيحية، وضغوطات التحالفات القشتالية، مما وضع الدولة النصيرية أمام مواجهة التحديات، أهمها:

1- التبعية الشكلية أو الجزئية لقشتالة فقد اضطر النصريون إلى الاعتراف بسيادة قشتالة أو يدفعوا الجزية مقابل الحماية أو الاستقرار.

2- سياسة التوازن والدبلوماسية بين القوى المسيحية في الشمال والممالك المغربية في الجنوب، فلم يكن من الحكمة الدخول في صراعات مفتوحة في كل الجهات[5].

---

(1) أحمد حسن بسبح، لسان الدين بن الخطيب: عصره، بيئته، حياته وآثاره، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ص169.

(2) خِطرة الطيف، ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: أحمد مختار العبادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص175.

(3) حسن الوراكلي، لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين – دراسة وبيبليوغرافية، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، 1990، ص112.

(4) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000، ص20.

(5) عبد الحميد بك العبادي، المجمل في تاريخ الأندلس، دار إشراقة، القاهرة، 2022، ص54.

3- اعتماد البنية العسكرية مثل الحصون الدفاعية على اعتبارها عنصر أساسي للبقاء، لاعتبار أن الدولة النصرية صغيرة من حيث المساحة، ومعرضة للهجوم في كل لحظة[1].

إن السلطان النصري كان يحكم بنظام الملك المطلق، لكنه في الأوقات الخطيرة يلجأ إلى استشارة القادة والزعماء المحليين؛ بمعنى أن السلطان كان يمتلك السلطة العليا في التشريع، والقضاء، والقرارات السياسية، لكن الواقع السياسي أظهر أن للوزراء والكتاب والحواجز دوراً فاعلاً، وقد حدث أن بعضهم استبد فاستولى على السلطة الفعلية أو أثر في مجريات الحكم، فقد كان الوزير أو الحاجب يهيمن على الحكم ويسير دويلات دون الرجوع القوي إلى السلطان، كما كانت النزاعات العائلية والصراع على العرش من أكثر المظاهر التي ميزت الحياة السياسية النصرية، إذ غالباً ما كانت تظهر انقسامات داخل الأسرة الحاكمة تؤدي إلى حروب أهلية أو مؤامرات تضعف الدولة من الداخل، وتتيح للممالك المسيحية التدخل أو الضغط[2]، لذلك واجهت مملكة غرناطة مجموعة من الضغوطات الخارجية مع القوى المجاورة، أهمها:

1- الضغط المسيحي من الشمال الممالك المسيحية، خاصة قشتالة التي سعت لتوسيع نفوذها في شبه الجزيرة، فكانت تحاصر المدن الإسلامية الضعيفة، وتهيئ الظروف للتداخل في شؤونها، وقد وافقت غرناطة في أكثر من مرة على تبعية عسكرية أو دفع الجزية أو تسليم أسرى مقابل حفظ بقائها، مما يوضح أن العلاقات مع قشتالة لم تكن عدائية دائمًا، بل تضمنت تفاوضاً ودبلوماسية[3].

2- العلاقة مع المغرب المريني حيث التدخل في الشؤون الأندلسية، دعماً لإخوانه المسلمين، أو لتحقيق مصالحه الخاصة، فبعض السلاطين النصريين تحالفوا مع المرينيين لمواجهة قشتالة أو لصد تدخلاتها، وهذه المساعدة كانت مشروطة تربطها انتقادات داخلية حول السيادة والنفوذ الخارجي، وفي بعض الفترات تراجعت المساعدة المغربية بسبب مصالح المغرب مع قشتالة أو مع القوى الإسبانية، لهذا وجد النصريون أنفسهم في عزلة أو المواجهة بمفردهم[4].

وعلى الرغم من الضغوط لجأ السلاطين النصريون إلى سياسة التعايش أو المعاهدات التي تحفظ جزءا من السيادة، حتى لو كان في إطار تبعية شكلية، مما يؤكد أن النصريون حاولوا الحفاظ على الدولة قدر الإمكان، حتى إن كان ذلك على حساب بعض الاستقلال الكامل، فبعض المعاهدات أعطت تنازلات جزئية مقابل الاعتراف بالسلطان النصري أو ضمانات تحفظ للمدينة الإسلامية أو أهلها حقوقاً معينة[5].

وبناء عليه، فأن الحياة السياسية المضطربة تركت آثاراً على المجتمع والنخبة الثقافية، ومن ثم على النتاج الأدبي، فتم استقطاب العلماء والأدباء إلى البلاط ما جعلهم يعيشون بين السلطة وبين الكتابة، ويكون موقفهم الأدبي متقلباً بين الولاء وبين النقد، كما تحولت غرناطة إلى مركز إشعاع ثقافي وحضاري، إذ اجتذبت العلماء والكتاب من الأندلس والمغرب، ليصبح البلاط النصري محطاً للحركة الفكرية، فضلاً عن عزوف أو نزوح بعض العلماء، وما رافقه من فقدان الأمان الثقافي أو الحماية السياسية، مما أثرت على حرية التعبير الأدبي، لذلك وصلت مملكة غرناطة إلى نقطة الانهيار في ظل الضغوط المتراكمة، والصراعات الداخلية، ونفاد الموارد، وتصاعد الحملات المسيحية، ونتيجة لذلك بدأ حصار على غرناطة من قبل الملوك الكاثوليك

---

(1) وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص67.

(2) علي محمد حمودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1957، ص98.

(3) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989، ص76.

(4) فهد جبرين محيل العتيبي، الكتابة التاريخية بغرناطة في عهد بني نصر (635 – 897 هـ)، حوليات آداب عين شمس، القاهرة، المجلد 50، العدد 9، 2022، ص15 – 23.

(5) E. Drayson, Nasrid Granada: The Case for Spain's Cross – Cultural Identity, MDPI, London, 2022, P. 15.

"فرديناند وإيزابيلا" عام (896ه – 1491م)، حتى أدت المعاناة التي استمرت (9) أشهر إلى الاستسلام، إذ سلم "أبو عبد الله الصغير" مفاتيح قصر الحمراء، وانتهت بذلك آخر دولة إسلامية في الأندلس[1].

إن سقوط غرناطة جسد نهاية مرحلة من التاريخ الإسلامي، والذي أشاع تأثيره في الوعي السياسي والثقافي، وترك الأدباء والمفكرين غارقين في استحضار الذكرى، وهو ما يبدو جلياً في نتاج بعض الأدباء.

المطلب الثاني

ترجمة لسان الدين بن الخطيب السياسية والفكرية

يعد "لسان الدين بن الخطيب" من الشخصيات الموسوعية التي تجلت فيها معانٍ السياسة والفكر في الأندلس خلال فترة دولة بني نصر، وقد جمع بين العلم والأدب والسلطة، فتجلى أثر التجربة السياسية في تكوينه الفكري وأسلوبه، وجعل فهماً لذاته وواقعه السياسي جزءاً لا يتجزأ من إنتاجه الأدبي والتاريخي.

الفرع الأول: الخلفية السياسية لنشأة ابن الخطيب

نشأ في أسرة ذات سمعة علمية واجتماعية، وكان جده معروفاً بالوعظ والتعليم إذ اشتهر بلقب الخطيب، وبعد ولادته في مدينة لوشة انتقلت الأسرة إلى مدينة غرناطة، حيث تمكنت من الاندماج في الحراك الثقافي والإداري للدولة النصرية[2]، وكان "لسان الدين" يحمل في ذاته مزيجاً من التكوين العلمي والتربية السياسية، فعلى الرغم من أنه درس الفقه والأدب والعلوم في الأندلس، فإنه تنقل إلى مدينة فاس ودرس في جامعة القرويين، الأمر الذي أتاح له الاطلاع على التيارات الفكرية المغربية والعربية.

وعندما برز "لسان الدين" في بلاط السلاطين النصريين، اختبر عن كثب آليات السلطة، والمنافسة، والوشاية، وصراع الفاعلين، وكذلك خشي الانقلابات السياسية التي تطيح بالمترقين في الحكم، فقد عاش في أوقات من الاستقرار والاضطراب، من الوزارة إلى النفي والمحاكمة، ومن الامتيازات إلى التضييق[3]، فكان عدم الاستقرار في الحالة السياسية مادة تفاعلت مع فكره وأدبه.

الفرع الثاني: التجربة السياسية في النتاج الفكري

إن "ابن الخطيب" لم يكن مجرد كاتب تأملي أو مؤرخ محايد، بل تعامل مع التاريخ والسياسة بوصفهما أدوات لفهم السلطة وتحدياتها، ففي مؤلفه بعنوان: "الإحاطة في أخبار غرناطة" تضمن السرد الوقائعي مع تأملات في الأسباب والدروس التي مرت بها الدولة النصرية، كما استخدم الرسائل والخطابات الرسمية للدفاع عن موقفه أو لتوضيح مواقف السلطان، مستفيداً من موقعه السياسي لكي ينسج بين السياسة والأدب[4].

وأثرت التجربة الذاتية في فترات النفي والمحن، إذ تغير منظور "ابن الخطيب" فزاد رغبة في استجلاء النفس، وربط التجربة الشخصية بالبعد العام، ففي كتابه "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" نسج بين الشعر والرثاء والذكريات، كما يظهر في بعض رسائله كيف أنه يرصد خيانات الحُجاب، والوشايات، أو تعقيدات الحكم، في مواقف يجمع فيها بين الدفاع عن نفسه والدفاع عن شرعية الحكم، وتمثلت اللمسة السياسية في أسلوبه باختيار الكلمات، والتركيبات البلاغية، والتلميحات الرمزية، والتناص مع الأحداث التاريخية، فقد وظف السجع، والتورية، والتضمين، لاستحضار نزاعات السلطة ورسائل ضمنية إلى خصومه، كما أن الخلط بين خطاب المدح والنقد يبين أن المقالة أو القصيدة ليست مجرد إنشاد، بل وسيلة للموقف السياسي[5].

---

(1) مؤلف مجهول، نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر وهو كتاب آخر أيام غرناطة، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار حسان، دمشق، 1983، ص34.

(2) محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص56.

(3) وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص47.

(4) عبد الحميد بك العبادي، المرجع السابق، ص98.

(5) لسان الدين بن الخطيب، خَطْرَة الطيف ورحلات المغرب والأندلس لفهم تأثير المكان في تجربته، تحقيق: أحمد مختار العبادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص481.

إن الحياة السياسية المضطربة في غرناطة تركت آثاراً على المجتمع والنخبة الثقافية، والنتاج الأدبي، حيث وظف بعض السلاطين الأدباء في الإدارة، ما جعلهم يعيشون بين السلطة والكتابة، ويكون موقفهم الأدبي متقلباً بين الولاء والنقد، وعلى الرغم من الضغوط السياسية تحولت غرناطة إلى مركز إشعاع ثقافي وحضاري، حيث اجتذبت العلماء والكتاب من الأندلس والمغرب، ليصبح البلاط النصري محطاً للحركة الفكرية، فضلاً عن عزوف بعض العلماء أو نزوحهم في فترات الاضطراب، وما رافقه من فقدان الأمان الثقافي أو الحماية السياسية، مما أثرت على حرية التعبير وأولويات الإنتاج الأدبي[1].

المطلب الثالث

تجليات التجربة السياسية في النتاجات الأدبية لابن الخطيب

تعد الأعمال الأدبية "للسان الدين بن الخطيب" من أغزر الآثار الأدبية والفكرية في الأندلس المتأخرة، إذ اجتمعت فيها عناصر البلاغة الأدبية، والنضج الفكري، والتجربة السياسية العميقة، فقد تقلد "ابن الخطيب" مناصب حساسة في بلاط بني نصر بغرناطة، أبرزها منصب الوزارة، وخاض غمار الحياة السياسية في بيئة مضطربة، ثم نُفي، وسُجن، وانتهى اغتياله في المغرب، وأن هذه التجربة السياسية الحافلة لم تبق حبيسة الظرف التاريخي، بل امتدت إلى أعماله الأدبية وظهرت فيها بجلاء.

الفرع الأول: النثر السياسي في مراسلاته الرسمية

استخدم "ابن الخطيب" لغة تجسد واجهة الدولة، والخطاب السياسي للسلطان، فقد كان نثره مشبعاً بالجزالة، والتوازن، والحكمة، ويتسم بحذر لغوي، إذ لا يصرح بما يمكن أن يفهم خطأ، ويجيد استخدام الرمز والإيماء والإطناب المتوازن، بما يعكس الحس السياسي الحاد للوزير الكاتب، مما أضفى على كتاباته مظهراً مزدوجاً وظيفياً وأدبياً[2].

وكتب "ابن الخطيب" تأملاته في مؤلفه "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" ليشرح تجربة النفي والحرمان، فقد خلط بين السرد الذاتي والتاريخي، ليرسم صورة مثقف سياسي وجد نفسه بين أمواج السلطة والتقلب، حيث تتداخل اللغة الأدبية مع المرافعة الذاتية، ويصبح النص ساحة لإثبات البراءة، واستعادة الكرامة، ويمكن تلمس ذلك في التحسر على الزمن والدولة والنخبة، وهو ما نجده في حديثه عن "الزمان المدلهم" و"الطامعين"، فضلاً عن النقد غير المباشر للحاشية والمنافسين، باستخدام أسلوب تلميحي رمزي، يتجنب التصريح، لكنه لا يفتقر إلى الوضوح لمن يعرف السياق، كما استخدم استعارات السفر والمطر والنفي، ليصور حاله النفسية والسياسية دون خطاب مباشر، ما يدل على بلاغة الكتمان والتضمين في نثره[3].

ويوثق "ابن الخطيب" الأحداث وتأويلها في مؤلفه "الإحاطة في أخبار غرناطة"، حيث يكتب التاريخ من موقع العارف والفاعل فهو لا يكتفي بتسجيل الوقائع، بل يفسرها، ويؤولها بالمعنى والدلالة ما يتجاوز الظرف العابر، مثلاً تصويره لمحنة الوزراء وسقوطهم على اعتبارها دروس سياسية مضمنة، ومحاولته إبراز تجربته ضمن مسار الدولة النصرية، في محاولة لتثبيت موقعه في التاريخ، وفي هذا السياق، لا يصبح النثر التاريخي مجرد توثيق، بل مشروعاً سردياً يحمل موقفاً سياسياً مستتراً[4].

لقد ركز "ابن الخطيب" على التضمين والتناص حيث اقتبس من القرآن والحديث والشعر الجاهلي والأموي والأندلسي، ليضفي على نثره سطوة لغوية، ولينقل المعنى السياسي في قوالب دينية أو ثقافية مقبولة، فضلاً عن خطاب الذات والجماعة حيث يجمع نثره بين استخدام ضمير المتكلم وضمير الجماعة، للدلالة على أنه

---

(1) محمد عيساوي، المؤرخ لسان الدين بن الخطيب "حياته ومنهجه في التدوين التاريخي": كتاب أعمال الأعلام أنموذجاً، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور بالجلفة مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، الجزائر، العدد 21، 31 آذار/مارس، 2016، ص15.

(2) نبيل الخطيب، لسان الدين ابن الخطيب: نثره وشعره وثقافته في إطار عصره، دار المنهل، بيروت، 2013، ص215.

(3) لسان الدين بن الخطيب، خَطْرَة الطيف ورحلات المغرب والأندلس لفهم تأثير المكان في تجربته، المرجع السابق، ص88.

(4) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص78.

يعبر عن الذات من موقع جماعي مسؤول، بالإضافة إلى الحجاج والاستدلال حيث يستخدم البراهين العقلية والنقلية لتدعيم وجهة نظره، مما يجعل نثره أقرب إلى أدب الحُجة، خاصة في رسائله السياسية[1].

وتعد الرسائل والمراسلات الرسمية التي كتبها "ابن الخطيب" سواء بصفته وزيراً، أو في إطار دفاعه السياسي، من أبرز النماذج التي يتجلى فيها الاشتباك بين الأدب والسياسة، فلم تكن رسائله مجرد أدوات إدارية، بل كانت تعبيراً عن رؤيته السياسية، ومواقفه في الحكم، وأسلوبه في إدارة الخطاب السلطاني، وحمايته لنفسه من الاضطهاد السياسي. وكانت مراسلات "ابن الخطيب" السلطانية تكتب باسم السلطان، لكنها تحمِل بصمته الفكرية والأسلوبية، وقد تنوعت موضوعاتها بين إرسال الوفود والمفاوضين وطلب الهدن أو توضيح المواقف السياسية، والدفاع عن سياسات الدولة أمام الاتهامات أو الفتن الداخلية، لذلك تضمنت المراسلات الحس السياسي العميق، وكشفت عن عقل دبلوماسي رفيع[2]، كما استخدم "ابن الخطيب" عبارات تؤسس للسلطان نصاً سياسياً محكماً، مثل: "أيد الله سلطانكم"، وهذه الصيغ تتجاوز التقاليد البلاغية، لتكون وسيلة لترسيخ صورة الحاكم العادل القوي.

وفي الرسائل الدبلوماسية استخدم "ابن الخطيب" التوازن بين المجاملة والموقف في رسالته الشهيرة إلى ملك قشتالة، حيث يظهر "ابن الخطيب" ذكاء سياسياً عالياً في استخدام لغة خاضعة للعرف الدبلوماسي، لكنها لا تفرط في الكرامة، مثال قوله: "وإننا لنحرص على السلم حرصَ المحب، ونعلم ما بيننا من عهدٍ لا ينقض، غير أن للملك شؤونه التي لا يجهلها العاقل"[3].

وأيضاً في رسائل الدفاع السياسي في ظل صراع البقاء والشرعية بعد محنته السياسية ونفيه، فقد كتب "ابن الخطيب" رسائل موجهة إلى البلاط المغربي للدفاع عن نفسه، وتفنيد التهم العقائدية والسياسية الموجهة إليه، وقد قال في إحدى الرسائل: "ضاقت بي البلاد، لا جرم أن القلم وحده صار سلاحي، والصدق ناصري، وأنتم – أهل العلم – شهودي"[4].

لقد استخدم "ابن الخطيب" الخصائص الأسلوبية التي تخدم البعد السياسي الإيقاع البلاغي المتزن، فقد استخدم السجع بتأنٍ لإضفاء مهابة على الرسالة، من خلال الاستشهادات الشرعية والتاريخية التي تضمن دعائم شرعية للحكم أو للسياسات المتخذة، فضلاً عن الرمزية والتورية في سبيل توصيل رسائل سياسية حساسة دون مجاهرة[5].

الفرع الثاني: المنفى والنفي في كتاباته

إن تجربة النفي ليست مجرد حدث خارجي، بل هي حالة وجودية تشكل مناخ من الوعي والإبداع، وعندما يمتزج النفي بالسياسة يصبح نص المنفى في الأدب جسراً بين الذات والسلطة، وفي حالة "لسان الدين بن الخطيب" فإن المنفى كان أحد أبرز المحطات التي تركت بصمتها على نصوصه، خاصة في كتابه "نفاضة الجراب في علة الاغتراب"[6]، فبعد صراع سياسي حاد داخل البلاط النصري تعرض "لسان الدين" للوشايات والاتهامات، فتم عزله من المناصب في غرناطة، وهاجر إلى المغرب، وفي ذلك المنفى كتب "نفاضة الجراب في علة الاغتراب"، لذلك فإن المنفى عنده لم يكن فقط نزولاً جغرافياً، بل نزول في الوعي، وحالة أنتجت نصاً يكشف عن المواجهة مع الوضع الجديد، والموقع المهجور، والرغبة في استعادة الهوية.

وفي كتاب "نفاضة الجراب في علة الاغتراب" يعبر "لسان الدين" عن شعور بالغربة، مثل: "علة الاغتراب"، و"نفاضة الجراب"، وهي استعارة تدل على تفريغ النفس من حمولات الوطن، كما يستخدم

---

(1) لسان الدين بن الخطيب، خَطْرَة الطيف ورحلات المغرب والأندلس لفهم تأثير المكان في تجربته، المرجع السابق، ص89.

(2) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج6، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000، ص282.

(3) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المرجع السابق، ص104.

(4) لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: أحمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي، الدار البيضاء، 1985، ص155.

(5) نبيل خالد الخطيب، لسان الدين بن الخطيب: نثره وشعره وثقافته في إطار عصره، دار المنهل، بيروت، 2013، ص178.

(6) لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، المرجع السابق، ص34.

وصف الأماكن الجديدة بلهفة وحنين، ويقارنها بالموطن الأندلسي الفائت، وسعى "ابن الخطيب" إلى تثبيت موقعه السياسي من خلال تفسير المنفى كابتلاء أو امتحان، وقد يستدعي الأمثال التاريخية والدينية في نصه ليلبس تجربته ثوب العبرة، لا الذل حيث يقول: "إن النفي قد يكون وسيلة التحقق من الحق أو الصلاح"[1].

ويظهر بوضوح أن "ابن الخطيب" يوظف المنفى على اعتباره فضاء للمرافعة، وفي بعض المقاطع من النفاضة يسجل رسائل أو نداءات موجهة إلى أمراء المغرب، يطلب فيها أن يعز له، أو يدافع عن تهم وجهت إليه، لذلك فأن النص المنفي يتحول إلى منصة دفاع، وجهاد بالكلمة. فضلاً عن المزج بين الوصف السياسي والجغرافي في نفاضة الجراب، إذ كثيراً ما يصف المدن التي أقام فيها، مثل: أغمات، سال، مراكش، وغيرها، معتمداً على ما رآه من الحياة المعيشية، وحالة الحكم، والأمن العام، ويدرج ملاحظات سياسية، ليس مجرد وصف، بل مقارنات ضمنية بين واقع المغرب وواقع الأندلس[2].

ويدرج "ابن الخطيب" في النص أمثلة من التاريخ الإسلامي أو الاستدعاء السياسي من مواقف سابقة للنفي أو الملكة حتى يقارن بينها وبين حاله ليعطي نصه بعداً سياسياً تأويلياً، وبينما يعبر النص عن شوق وألم الفراق، فإن هناك في بعض الفقرات لمسة إرادة، أي أن لا يستكان للنفي، وأن الكلمة تقاوم، وأن العودة أو الاعتراف يحتمل أن يكون طي هذا المنفى[3].

الفرع الثالث: أدب المحنة والدفاع عن النفس

إن كتاب "لسان الدين" بعنوان: "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" يعد أنموذجاً لأدب المحنة، وهو الأدب الذي يعبر عن التجربة القاسية للنفي، عن فقدان المكان والهوية، حيث يوظف النص للدفاع عن الذات، والمطالبة بالاستعادة أو العفو أو الاعتراف، فالشعور بالاغتراب والابتعاد عن الوطن من أبرز ما يخيم على النفاضة هو شوق العودة وحنين الذات إلى وطن الأندلس، والتعبير عن الألم الوجداني بفعل فقدان المكان، إذ يستخدم "ابن الخطيب" مفردات، مثل: "علة الاغتراب، و"نفاضة الجراب" ذاتها تدل على خلو الكنان أو تفريغ، ويدل على الصراع النفسي بين الانطواء في المحنة والرغبة في الحضور، وبين الرحيل والبقاء[4].

كذلك التوثيق للرسائل والدعوات على اعتبارها فعل دفاعي داخل متن النفاضة، إذ يسجل "ابن الخطيب" رسائل بعثها إلى أمراء المغرب، وطلبات العطف والدعم، وبيان مآسيه، وهو بذلك يجعل من النص المنفي منصة دفاع ذاتي. فضلاً عن المراجعة التاريخية على اعتبارها آلية إظهار البراءة في بعض الفصول، إذ يعيد "ابن الخطيب" سرد أحداث المعارك، الانقلابات في غرناطة، والتحولات السياسية التي أدت إلى تغييبه، لكنه يعرضها من منظوره، يبرر موقفه، ويُحمل خصومه مسؤولية سقوطه، ويبين أن ما جرى لم يكن مجازفة، بل نتيجة مؤامرات، وهو بذلك يستخدم التاريخ على اعتباره سلاح دفاع، ليس فقط كتوثيق[5].

وأيضاً الخصائص البلاغية التي تدعم الدفاع الأدبي التضمين والتناص، إذ يستدعي "ابن الخطيب" آيات قرآنية، أقوالاً مأثورة، ونصوصاً تاريخية تدعم موقفه، فيضفي على نصه حجية دينية وثقافية، وفي بعض المقطوعات يتوجه بالخطاب إلى ذاته أو الآخرين، كأنه يرد على من اتهمه بصمت أو بلا تصريح، بالإضافة إلى اللغة الرمزية والصورية، مثل: "الجراب، الرحلة، الرباط" ليعبر عن المعاناة بصيغة بلاغية لا تفصح مباشرة عن كل ما في النفس. كذلك التبديل بين النثر الشعري والنثر العادي في متن النفاضة، حيث يمزج بين نثر خالٍ وشذرات شعرية تعبر عن أقصى العاطفة، ليصبح النص أكثر تأثيراً دفاعياً[6].

---

(1) سوسن محمد عبد الجواد بلتاجي، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب تأليف لسان الدين بن الخطيب: دراسة تحليلية نقدية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، العدد 26، 2010، ص1028.

(2) لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، المرجع السابق، ص113.

(3) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المرجع السابق، ص86.

(4) لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، المرجع السابق، ص120.

(5) نهى محمد جميل الأفغاني، جماليات المكان في نثر لسان الدين الخطيب: كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب أنموذجاً، المجلة الدولية للدراسات الأكاديمية المتقدمة، نيويورك، العدد 2، شباط/فبراير، 2020، ص251 – 257

(6) المرجع نفسه، ص253.

إن المدلولات السياسة في أدب المحنة الألم الشخصي يتحول في النص إلى رسالة سياسية، أي أنه ليس مجرد شكوى، بل موقف يعرض أمام الأمراء والنخبة، ويطالب بالحماية أو الاعتراف أو الإنصاف.

الفرع الرابع: التجربة السياسية في شعره

إن "لسان الدين" هو المثقف الذي احتك بالسياسة، وجرب النفي والمحنة، فإن شعره لا يمكن فصله عن هذه التجربة، بل يظهر فيها بصور متعددة سواء في المديح، أو في الهجاء، أو الرد على الخصوم، ومن أبرز المظاهر السياسية في شعر "ابن الخطيب" هي المديح السياسي والنصح لكبار السلاطين والنقاد، فكانت رسائله وقصائده تجمع بين المديح والحث على الصلاح والحكمة، وأن المديح عنده لا يقتصر على التجويد اللفظي، بل يتعداه إلى نصح السلطة ضمن لغة موشحة بالتأثير[1].

كما يظهر في شعر "ابن الخطيب" الهجاء أو التلميح المُنافِض، حيث يستخدم كلمات تحمل الازدواجية، أو التورية، أو الرمزية، لينتقد خصوماً بلا تصريح مباشر، أو ليحصن نفسه من المتابعين، فعندما يقول الشاعر عبارات تبدو مدحية ظاهرياً لكنها تخفي لُمحاً أو تلميحاً، فهو يمارس الشعر في حد النقد السياسي الخفي، بأسلوب مراوغ يُجنب المواجهة المباشرة[2].

وأيضاً البعد الديني والسياسي في شعر "ابن الخطيب" إذ كثيراً ما يقترن بالمرجعية الدينية، فيوظف القرآن والحديث على اعتبارهما مصدر للقوة والشرعية، وهذا البعد الديني يعد وسيطاً بين الشاعر والسلطان، فهو يمنحه ما يشبه التفويض الخطابي، ويكسب كلمته صفة المصداقية[3].

بالإضافة إلى الانفعالات السياسية في شعر المنفى والمحنة في فترات الصراع أو النفي، إذ يظهر في شعر "ابن الخطيب" انفعال قوي يلتقي فيه السياسي بالذاتي، فتنزاح حدود القصيدة عن جمالياتها البحتة إلى سرد مآسي السلطة أو الألم الشخصي وهو يختبر الضياع[4].

الفرع الخامس: شعر السلطة والمكانة الإجتماعية

حينما يتداخل الشعر بالأدب أو السياسة يصبح الشاعر ليس مجرد معبر عن المشاعر، بل مؤثراً في الرمزية، وفي حالة "ابن الخطيب" الذي شغل مناصب سياسية، وعاش تقلبات السلطة والمنفى، يظهر في شعره أداة للتعبير عن موقعه الاجتماعي ومقاومته، ولمدحه أو نقده الضمني لبيئة الحكم والمجتمع النخبوي[5]، فيركز على شعر المديح بوصفه خطاب ولاء سياسي واجتماعي حيث النصح الأدبي الذي يشكل علاقة بين الشاعر والسلطان أو الحاكم، كذلك في الرمزية واللغة السلطوية في اختيار المفردات والبلاغة التي تنطوي على طبيعة السلطة كما عكس الشاعر قضايا الطبقات والأدوار الإجتماعية في عصره. ويظهر الشاعر حرصاً على تمجيد السلطان ومكانته العليا في قصائد المديح التي كتبت في البلاط، مستخدماً مفردات القوة، السداد، مثلاً: في ديوان "ابن الخطيب" تتكرر إشارات، مثل: "ظلك الوارف"، و"عزك المنيف"، وهذه العبارات تشكل خطاباً سياسياً ضمنياً يثبت مكانة الشاعر والمترفع إلى مقام الحاكم، ويعبر عن ولائه وأمنه.

ويتجه "لسان الدين" إلى النقد أو النصح بحذر، عبر الصيغ البلاغية التي تحمل توجيهاً خفياً أو تذكيراً للمحبب، مثل: المقدمات أو المقاطع التي تدعو إلى الحكمة والعدالة، وتلوح بوقوع الأخطار إذا غاب العدل[6]، وفي بعض الأبيات يعكس الشاعر التباين بين حال السلطان ورعيته، أو بين القوة والمقام الاجتماعي المرتفع،

---

(1) لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، المرجع السابق.

(2) نبيل خالد الخطيب، المرجع السابق، ص393.

(3) منيرة بنت عبد الرحمن الطويان، تجليات الثبات وانكسار الذات في شعر لسان الدين بن الخطيب، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد 85، كانون الثاني/يناير، 2023، ص130.

(4) لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، المرجع السابق، ص422.

(5) محمد مفتاح، ديوان لسان الدين الخطيب السلماني، المجلدان 1 – 2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1989، ص154.

(6) ديوان لسان الدين الخطيب السلماني، المجلدان 1 – 2، صنعه وحققه وقدم له: محمد مفتاح ديوان، دار الثقافة للنشر، عمان، 1989، ص75.

مستخدماً رموزاً، مثل: العرش، القصر، الحاشية، والخدم، ليبين الفوارق الإجتماعية ويستحضر الانتماء أو التميز. وأحياناً يقابل بين موضع السلطان ومكانة الشاعر، بين العالي والمنخفض، ليبرز تميز السلطان ومكانة الشاعر المقابلة في النص وهو من الأبعاد البلاغية والدلالية التضاد[1]. فضلاً عن الرمز والتورية فقد يذكر الشاعر معانٍ ظاهرة، لكنها تخفي إشارات إلى العلاقات الإجتماعية أو الصراع الخفي. كذلك استخدام مفردات الطبقات العليا، مثل: "الملك"، "العرش"، "السراء" مقابل مفردات الجماعة.

الفرع السادس: شعر السجون والمنفى

حينما يتعرض الشاعر إلى السجن أو المنفى تتغير أبعاد قصيدته فلا يعود الكلام عن الجمال، بل عن الألم، الاغتراب، والحنين، وقد يتحول الشعر إلى فسحة دفاعية ومكان للتعبير عن الكرامة المهزومة، وفي حالة "لسان الدين" الذي عاش فترات من المنفى بعد أن غادر الأندلس، فإن نفاضة الجراب في علالة الاغتراب يحتوي على أشكال شعرية تعبر عن المأزق النفسي، السياسي، والاجتماعي.

وتتمثل مظاهر شعر المنفى في كتاب "النفاضة الجراب"، بالحنين إلى الوطن والافتقاد في بعض أبيات الشعر التي يضمها النفاضة، يظهر الحنين إلى الأندلس، والاسترجاع الذهني للوطن المفقود[2]، بالإضافة إلى التعبير عن الألم والضياع حيث يوظف في النص أسلوب الكناية والإشارة للتعبير عن معاناة السجن والمنفى، مثل: استخدام لفظ "الاغتراب"، كذلك الدفاع والكرامة الشعرية حتى في القصائد التي تبدو حزينة أو رثائية، إذ يظهر الشاعر موقفاً دفاعياً مثلاً يقول: "أنا ما زلت كائناً"[3].

الفرع السابع: شعر الحكمة والتأمل في الدولة والحياة

يتحول الشعر إلى خطاب فكري – أخلاقي حينما يركز الشاعر على التأمل في طبيعة السلطة، الزمان، الإنسان، والمصائر، وليس مجرد استعراض جمالي، وفي حالة "لسان الدين" الذي عاش في دوائر الحكم، والنفي، نجد في شعره لحظات تأمل وحكمٍ تنبع من التجربة التاريخية، ومن الموقف الذاتي تجاه الدولة والحياة. ففي السياق العام لموضوع الحكمة في الشعر الأندلسي والنصري في الأدب الإسلامي، كان الشعر الحكمي ميداناً للتعبير عن مواقف فلسفية وأخلاقية، وللتوجيه بما يتجاوز اللحظة الشخصية إلى البعد العام في الأندلس، خاصة في عصر مملكة غرناطة، كان الشعر يوظف بين حين وآخر لتوجيه السلطان أو التذكير بواجب الحكم، ويشير إلى أن الشاعر جمع بين البعدين التجريبي والفكري، فظهر في شعره التأمل الذي يتلاقى مع تجربته السياسية[4].

فضلاً عن مظاهر الحكمة والتأمل في شعر "ابن الخطيب" فالمقومات العامة في الدولة في بعض الأبيات يطلق الشاعر حكماً عاماً على ما ينبغي أن تكون عليه السلطة أو العلاقة بين الحاكم والمحكوم، مثل: الدعوة إلى العدالة، الرأفة، الحذر من الطغيان، وهذه الأبيات غالباً ما تقدم بصيغة مختارة، مختزلة، لكنها تحمل ثقلاً معنوياً يفوق الموقف اللحظي.

ويستخدم الشاعر "ابن الخطيب" كثيراً صور الزمن، التحولات، الزوال، والفساد على اعتبارها وسائل للتأمل في عالم الدولة والدني، فقد يرد في شعره ما يشبه "مآسي الزمان" و"انقلاب الأحوال". ويفسر الشاعر بين العلاقة والنقد الضمني حين يكون الشاعر نفسه عضواً في الحاشية أو السلطة، ويتجلى لديه التوتر بين الولاء والنقد، فيدخل في أبياته لمحات تأملية عن دوره، عن ما يتوقع من الحاكم، عن الاختيار والعدل، ربما بشكل غير مباشر أو مشفر[5].

---

(1) حسن الوراكلي، لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين، دراسة ببليوجرافية، منشورات عكاظ، الرياض، ص43.
(2) لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب المرجع السابق، ص422.
(3) لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، المرجع السابق، ص514.
(4) نبيل خالد الخطيب، المرجع السابق، ص32.
(5) نبيل خالد الخطيب، المرجع السابق، ص32.

إن هذه الأبيات التي وردت في ديوان "لسان الدين الخطيب" تحمل تأملاً في المآسي النفسية، وفي العذاب المخفي والتي يمكن قراءتها على أنها تعبير لحالة الشاعر بين الوجود والمحنة، ولا تفصح صراحة عن مبدأ سياسي، لكنها تفتح فضاء استبطانياً يمكن ربطه بتجربته في الحكم والمنفى.

الخاتمة

إن الأديب الموسوعي "لسان الدين بن الخطيب" لم يكن مجرد شاهد على عصره، بل كان طرفاً فاعلاً في الأحداث السياسية الكبرى التي عصفت بمملكة غرناطة في القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي، فقد تشكلت تجربته الأدبية في ظل ظروف سياسية متقلبة، شملت الصعود إلى السلطة، ومواقع النفوذ، ثم النفي، والملاحقة، والاغتيال في النهاية.

لقد أظهرت نصوص "ابن الخطيب" نثراً وشعراً، حضوراً قوياً للسياسة من حيث الموضوع والموقف، كما كشفت بنيتها الفنية عن توظيف واعٍ للرمز، والتناص، واللغة السلطانية، بما يعكس إدراكه العميق لسلطة الكلمة، وفاعليتها في التعبير والدفاع والتأريخ، كما بين التحليل أن "ابن الخطيب" استمكن أن يدمج بين التقريرية المرتبطة بوظيفته على اعتباره كاتب دولة، وبين الذاتية المرتبطة بتجربته الشخصية والوجدانية، خاصة في مؤلفات المنفى، مثل: "نفاضة الجراب".

وقد انتهت الدراسة إلى أن النتاج الأدبي لـ"ابن الخطيب" لا يمكن قراءته بعيداً عن سياقه السياسي، وأنه يمثل أنموذجاً فريداً لما يمكن أن يسمى بـ"أدب الدولة"، الذي يجمع بين الجمالية التعبيرية والوظيفة السياسية والإجتماعية للنص، كما أكدت أن أدبه كان رديفاً لسيرته، وأنه وظف الأدب ليكون صوتاً للمثقف في وجه السلطة، ومرآةً لمحنة الكاتب في أزمنة القلق السياسي.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب العربية

1. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989.
2. أحمد حسن بسبح، لسان الدين بن الخطيب: عصره، بيئته، حياته وآثاره، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994.
3. حسن الوراكلي، لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين – دراسة وبيبليوغرافية، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، 1990.
4. حسن الوراكلي، لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين، دراسة بيبليوجرافية، منشورات عكاظ، الرياض.
5. خِطرة الطيف، ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: أحمد مختار العبادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.
6. ديوان لسان الدين الخطيب السلماني، المجلدان 1 – 2، صنعه وحققه وقدم له: محمد مفتاح ديوان، دار الثقافة للنشر، عمان، 1989.
7. سوسن محمد عبد الجواد بلتاجي، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب تأليف لسان الدين بن الخطيب: دراسة تحليلية نقدية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، العدد 26، 2010.
8. عبد الحميد بك العبادي، المجمل في تاريخ الأندلس، دار إشراقة، القاهرة، 2022.
9. علي محمد حمودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1957.
10. فهد جبرين محيل العتيبي، الكتابة التاريخية بغرناطة في عهد بني نصر (635 – 897 هـ)، حوليات آداب عين شمس، القاهرة، المجلد 50، العدد 9، 2022.
11. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

12. لسان الدين بن الخطيب، خَطْرَة الطيف ورحلات المغرب والأندلس لفهم تأثير المكان في تجربته، تحقيق: أحمد مختار العبادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.
13. لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: أحمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي، الدار البيضاء، 1985.
14. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000.
15. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج6، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000.
16. محمد عيساوي، المؤرخ لسان الدين بن الخطيب "حياته ومنهجه في التدوين التاريخي": كتاب أعمال الأعلام أنموذجاً، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور بالجلفة مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، الجزائر، العدد 21، 31 آذار/مارس، 2016.
17. محمد مفتاح، ديوان لسان الدين الخطيب السلماني، المجلدان 1 – 2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1989.
18. منيرة بنت عبد الرحمن الطويان، تجليات الثبات وانكسار الذات في شعر لسان الدين بن الخطيب، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد 85، كانون الثاني/يناير، 2023.
19. مؤلف مجهول، نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر وهو كتاب آخر أيام غرناطة، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار حسان، دمشق، 1983.
20. نبيل الخطيب، لسان الدين ابن الخطيب: نثره وشعره وثقافته في إطار عصره، دار المنهل، بيروت، 2013.
21. نبيل خالد الخطيب، لسان الدين بن الخطيب: نثره وشعره وثقافته في إطار عصره، دار المنهل، بيروت، 2013.
22. نهى محمد جميل الأفغاني، جماليات المكان في نثر لسان الدين الخطيب: كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب أنموذجاً، المجلة الدولية للدراسات الأكاديمية المتقدمة، نيويورك، العدد 2، شباط/فبراير، 2020
23. وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2011.
24. وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2011.

ثانياً: الكتب الأجنبية

1. Terry Eagleton, Marxism and Literary Criticism, University of California Press, California, 1976.
2. E. Drayson, Nasrid Granada: The Case for Spain's Cross – Cultural Identity, MDPI, London, 2022.